

مهند مصطفى\*

## النخب العسكرية في الجيش الإسرائيلي: تحولات في مفهوم جيش الشعب

وتراثيتها الاجتماعية، دون النظر إلى انسيابية هذه النخب. فما كان نخبة في الماضي ربما لم يعد، أو ليس بالضرورة، نخبة في الحاضر، وهذا يتعلق بتصورات المجتمع لمفهوم النخب، وليس للقوالب النظرية الجاهزة فقط لمفهومها. لذلك سوف نهدف إلى التمييز في هذا المقال بين تحولات اجتماعية في الجيش، وبين تغير النخب العسكرية، لا بهدف الادعاء بتناقض هذه التحولات، وإنما للتريث البحثي في الاستنتاج أن هنالك تغيراً دراماتيكياً.

يتجاذبُ توجهان المقاربات الإسرائيلية والمقالات العربية في دراسة النخب على محور التحولات في الجيش الإسرائيلي؛ توجه يعتبر أن التغيرات الاجتماعية والنخبوية في الجيش هي عملية مخطط لها من طرف مجموعات كانت مهمشة في الماضي، لا سيما المجموعات المتدينة (وهي مجموعات متباينة حقاً)، وتحديدًا أبناء الصهيونية الدينية ومؤسساتها التعليمية

يناقش هذا المقال تحولات النخب العسكرية في الجيش، وتمثلت ذلك على ما يسمى في القاموس السياسي الإسرائيلي «جيش الشعب». يدخل هذا المقال في الحقل البحثي المسمى علاقات الجيش-المجتمع، وهو حقل بحثي ظهر مع صعود الدولة الحديثة. في هذا الحقل سكب خبر كثير على نقاش هذا الموضوع في السياق الإسرائيلي، وتحديدًا التحولات الاجتماعية في المؤسسة العسكرية الإسرائيلية بما يشمل تغيرات النخب العسكرية.

يجدر الانتباه أن هنالك التباساً في بعض المقاربات الدراسية، بين التحولات الاجتماعية في الجيش وبين تغير النخب العسكرية، وذلك نابع من التعامل مع مفهوم النخب العسكرية كحالة ثابتة فيما يتعلق بتحديد دورها، تعريفها الوظيفي،

\*محاضر جامعي في العلوم السياسية، مدير عام «مدى الكرمل: المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية».

هنالك إجماع في كافة الدراسات السوسولوجية العسكرية أن النخب التي قادت الجيش الإسرائيلي في كافة وحداته كانت ممن أطلق عليهم باروخ كيمرلينغ تسمية «أحوساليم»، كناية عن الاشكنازيين العلمانيين. جاء أغلب ضباط الجيش في جميع أذرعه ووحداته من هذه المجموعة، وكان أبناء الكيبوتسات والتجمعات الزراعية والأهلية المخزون الاجتماعي للضباط.

### صعود المتدينين داخل الجيش

هنالك إجماع في كافة الدراسات السوسولوجية العسكرية أن النخب التي قادت الجيش الإسرائيلي في كافة وحداته كانت ممن أطلق عليهم باروخ كيمرلينغ تسمية «أحوساليم»، كناية عن الاشكنازيين العلمانيين.<sup>1</sup> جاء أغلب ضباط الجيش في جميع أذرعه ووحداته من هذه المجموعة، وكان أبناء الكيبوتسات والتجمعات الزراعية والأهلية المخزون الاجتماعي للضباط. كما وجاء أغلب رؤساء هيئة الأركان من هذه المجموعة، بغض النظر عن التوجهات السياسية والأيدولوجية لها. انعكست هذه الميزة الاجتماعية للجيش على قرب نخبه من التيار الصهيوني اليساري الاشتراكي على الأغلب، كما انعكس على الحقل المعرفي الإسرائيلي الذي ركز في دراسة علاقة الجيش بالمؤسسة السياسية المدنية وتأثيره على اتخاذ القرارات في الشؤون الأمنية والعسكرية. ومن الملفت أن نرى في تحول هذا الحقل البحثي نحو دراسة علاقة الجيش بالمجموعات الدينية ودخول مصطلح «تدين الجيش» في السنوات الأخيرة، أيضاً كانعكاساً لتحولات في المصادر الاجتماعية لضباط الجيش ونخبه. فهل ينبع اهتمام السوسولوجيا الإسرائيلية بسؤال الدين والجيش ينبع عن تغير اجتماعي ونخبوي في الجيش؟

أولاً، لا بد من الإشارة إلى أن النخب القديمة، كما يحلو لليمين تسميتها، (ولسنا هنا في موضع مناقشة التسمية ونقدها) لم تتخل عن دورها في الجيش الإسرائيلي، غير أن رؤيتها للخدمة العسكرية تغيرت، وترى في الخدمة العسكرية مكاناً للحراك الاجتماعي الاقتصادي، لذلك فإن الوحدات ذات الطابع التكنولوجي والساير، والاستخبارات، هي الوحدات الأكثر اعتبارية عندهم وليس الوحدات القتالية، كما كان في السابق.

فحسب معطيات أوردها الجيش، طراً خلال ثلاث سنوات (٢٠١٤-٢٠١٦)، تراجع من ٣٣٪ إلى ٢٣٪ في الاستعداد للانخراط في إطار مسابقات الضباط في الوحدات القتالية. يعتقد

والسياسية، توجه ثانٍ يعتبر أن ما يحدث هو نتيجة صيرورات اجتماعية مرّ بها المجتمع الإسرائيلي في العقود الأخيرة، انعكست أيضاً على الجيش ومؤسسته العسكرية.

ينطلق هذا المقال من مقولة أن التحولات الاجتماعية في الجيش ليست صيرورة حصرية للجيش الإسرائيلي بل هي صيرورة اجتماعية طبيعية مرّت بها كل الجيوش، سواء في النظم الديمقراطية أو غير الديمقراطية، ويكون إيقاع هذا التحول أكبر في الدول الديمقراطية، لا سيما التي يكون فيها الجيش إطاراً داعماً في بناء الأمة والدخول لها والتموضع فيها، إذ يتحول الجيش إلى إطار مفتوح للحراك الاجتماعي والاقتصادي والسياسي يتعلق بمهنية المقاتلين من جهة، ورؤية المجتمع أو فئات منه لأهمية الخدمة العسكرية في الحراك الاجتماعي، الاقتصادي والسياسي من جهة أخرى. في المقابل، تتميز إسرائيل بكونها نتاج مشروع استعماري استيطاني من عام ١٩٤٨، أسست بنفسها حالة استعمارية استيطانية أخرى عام ١٩٦٧، حالة ترافقها منذ حوالى خمسة عقود، ساهمت بدورها في تحولات داخل الجيش والمؤسسة العسكرية. لذلك فإن بناء الأمة من جهة والنظام الاستعماري من جهة أخرى هما عاملان مركزيان في تفسير التحولات الاجتماعية في الجيش الإسرائيلي ونخبته العسكرية وانسيابية مفهوم النخبة العسكرية.

في هذا السياق، ظهر ما يطلق عليه عملية «تدين الجيش» في السجال الإسرائيلي، وهو سجال مثير في السنوات الأخيرة، نوقش في الكثير من الكتب والدراسات لباحثين إسرائيليين، واختلفت بشأنه الآراء بين من يعتبر أن ما يحدث هو تدين متعمد للمؤسسة العسكرية تجلت ذروته في الحرب على قطاع غزة عام ٢٠١٤، وبين من يعتقد أن «تدين الجيش» هو مجرد ممارسات عينية اتخذها الجيش ليمثل فيها قطاعات اجتماعية ازداد حضورها في صفوف الجيش في العقدين الأخيرين، وينبع تماهيه مع مطالب لها في المسائل الدينية من حرصه على الحفاظ على نفسه كجيش الشعب.

٤٠٪ فقط من المقاتلين في الجيش الإسرائيلي أن من يخدم في الوحدات القتالية يساهم أكثر في الخدمة العسكرية وللدولة، مقابل ٥٤٪ قبل عامين (٢٠١٦).<sup>٢</sup> إذاً، فإن انخراط أبناء النخب القديمة في الجيش تغير في محورين، الأول في اعتبار الجيش مدخلا للحياة المدنية (قناة رسمية وقانونية) والنجاح فيها على المستوى الشخصي (حراك اقتصادي اجتماعي شخصي). والثاني هو تغير مفهوم الوحدات النخبوية في الجيش، من الوحدات القتالية المباشرة التقليدية كسلاح المشاة والمدركات والمظليين، إلى الأذرع العسكرية التكنولوجية على تنوعها. جاء صعود نسبة المتدينين في الجيش وبين صفوف ضباطه أيضا بسبب تراجع طوعي من أبناء النخب القديمة ورغبة منهم في الالتحاق بوحدة أخرى أصبحت أكثر اعتبارية في الجيش في السياق النيوليبرالي في إسرائيل.

في مقال نشره الضابط «ب»، (وهو قائد وحدة خاصة في الجيش)، في مجلة «معرخوت» التابعة للجيش حول دخول المتدينين لصفوف الضباط في الوحدات المختلفة، يشير إلى أنه في سنوات الثمانينيات كان حضور أبناء الصهيونية الدينية في الوحدات القتالية ضئيلاً، أما في الحاضر فإن حضورهم بارز في كل الوحدات.<sup>٣</sup> يقول «ب»:

«تجندت للجيش في أواخر سنوات الثمانينيات لوحدة خاصة. كان كل المجندين، ما عدا اثنين، علمانيين. علاوة على ذلك، كان في صفوف المجندين تمثيل بارز لأبناء الكيبوتسات والتجمعات الأهلية. استمرت مدة التأهيل عاماً ونصف عام، وخلع خلالها الجنديان المتدينان، سكان غوش عتصيون، القبة الدينية، لم يكن أحد هناك من الضباط في الوحدة يعتمر القبة الدينية. عدت للوحدة بعد ١٨ عاماً من أجل قيادتها، كانت تركيبة المجندين فيها تغيرت بشكل كبير، ٤٠٪ من

ضباط الطواقم و ٣٠٪ من ضباط القيادة العليا كانوا من أبناء الصهيونية الدينية. حتى في امتحانات التصنيف للوحدة، الذي يسبق التجنيد، كان حضورهم بارزاً جداً».<sup>٤</sup>

تعتبر المعطيات التي أوردها «ب» في مقالته نادرة، فهي المرة الأولى التي يتم فيها نشر معطيات عن عدد الجنود والضباط الذين يعتمرون القبة الدينية، وحسب المعطيات التي أوردها «ب»، ارتفعت نسبة الضباط المتدينين في مساق ضباط سلاح البرية (المساق الأكثر أهمية في سلاح البرية)، من ٢,٥٪ عام ١٩٩٠، إلى ٣١,٤٪ عام ٢٠٠٧. وتراجعت النسبة عام ٢٠٠٨ (العام الذي ينهي فيه البحث من نشر المعطيات) إلى ٢٦٪. ومع ذلك فإن نسبة الضباط المتدينين في سلاح البحرية منذ عام ٢٠٠١ تتراوح بين ٢١٪-٣١٪، وللمقارنة، تصل نسبة خريجي التعليم الديني-الرسمي في الجيش إلى ١٣,٧٪؛ أي أن نسبة الضباط المتدينين في سلاح المشاة هي أعلى من نسبة الجنود المتدينين في الجيش.<sup>٥</sup>

علاوة على ذلك، يشير البحث إلى أن هذا الصعود في نسبة الضباط المتدينين يعود لتحولات في نظرة التيار الديني القومي للدولة والجيش، والدور الذي لعبته المدارس الدينية العسكرية التمهيدية، حيث يبين البحث الذي نشره «ب»، أن ٨٠٪ من الجنود في الوحدات القتالية هم خريجو هذه المدارس، بينما تصل نسبة الضباط المتدينين في الوحدات القتالية إلى حوالي ٢٥٪ مقابل نسبتهم التي تصل إلى ٩٪ من بين كل ضباط الجيش، مما يؤكد أن أبناء التيار الديني القومي يتوجهون إلى الوحدات القتالية بالأساس.

يتبين من المعطيات الواردة أعلاه، أن المدارس التحضيرية (مخينوت) للجيش لعبت دوراً مركزياً في رفع نسبة الجنود المتدينين في الجيش.

#### جدول: (١): عدد المدارس التحضيرية وطلابها في سنوات مختارة

عدد الطلاب العام (معدل سنوي).	عدد المدارس التحضيرية ما قبل الجيش	
700	6	1998\1997
850	10	1999\1998
1000	15	200\1999
1170	18	2003\2002
1240	21	2004\2003
1325	21	2005\2004
1300	23	2006\2005
1515	25	2007\2006
1600	25	2008\2007

ازداد عدد المدارس الدينية العسكرية التمهيدية من مدرسة واحدة قبل الاحتلال عام ١٩٦٧، إلى اثنتي عشرة مدرسة عام ١٩٨٠، وتضاعفت إلى ثلاثين مدرسة عام ١٩٩٨. جاءت المدارس الدينية العسكرية والتمهيدية تحديداً كحلقة وصل بين الشبان المتدينين الذين يرون، بناءً على اليهودية، بأن تعليم التوراة هي قيمة عليا في حياتهم، وبين الجيش، كقيمة قومية-دينية.

### تدوين الجيش، أم تحول اجتماعي؟

أدت التحولات الديمغرافية الحاصلة للقواعد الاجتماعية المغذية للجيش الإسرائيلي "كجيش الشعب"، وخصوصاً الحضور الكبير لأبناء الصهيونية الدينية، وبصورة أقل الارثوذكسية، في المؤسسة العسكرية والأمنية، إلى إنتاج حقل معرفي جديد في إسرائيل يبحث في العلاقة بين الدين والمؤسسة العسكرية. قبل ذلك، هيمنت قضايا العلاقة بين المؤسسة المدنية-السياسية وبين المؤسسة العسكرية، أو بين الأخيرة والمجتمع على الأجندات البحثية الإسرائيلية، وذلك كجزء من الحقل المعرفي العالمي الذي ظهر في الستينيات في الدول الديمقراطية، ولاحقاً ظهرت دراسات حول العلاقة بين المؤسسة العسكرية والنظام السياسي في الدول السلطوية. يمكن تصنيف الأدبيات حول حضور الدين عموماً، وأبناء الصهيونية الدينية خصوصاً في المؤسسة العسكرية إلى عدة اتجاهات:

التوجه الضيق- الذي يرى ذلك كنتاج عملية عقلانية يحاول من خلالها التيار الديني القومي التأثير على الجيش، باعتباره مجموعة سياسية-دينية-اجتماعية تحاول فرض أجنداتها على المؤسسة العسكرية. نجد ضمن هذا التوجه دراسة تميز ليليل ورؤوبن غال حول الوجوه المختلفة للتدين في الجيش الإسرائيلي. يشير ليليل وغال إلى أن مفهوم "جيش الشعب" يحمل في جوهره مقولة (أو ثمن) إن الجيش الإسرائيلي يقوم بملاءمة مميزاته الاجتماعية والثقافية حسب القواعد الاجتماعية التي تشارك فيه، كما تحمل فكرة أن الجيش الإسرائيلي هو جيش الشعب أداة لزيادة الدافعية نحو الانخراط في الجيش الإسرائيلي لدى المجتمع بكل ما يحمل ذلك من أثمان اجتماعية واقتصادية مرافقة لهذا التوجه.<sup>٩</sup> يركز الباحثان على التحولات الديمغرافية في الجيش الإسرائيلي، وهما يحصران صيرورة التدين في الجيش بالربط بينها وبين ازدياد أعداد الجنود والضباط المتدينين في الجيش، بالإضافة إلى مكانزمات-آليات هذه الصيرورة التي تمثلت في صعود دور المدارس الدينية العسكرية، والمدارس الدينية العسكرية التمهيدية، وتشجيع رجال الدين من

ازداد عدد المدارس الدينية العسكرية التمهيدية من مدرسة واحدة قبل الاحتلال عام ١٩٦٧، إلى اثنتي عشرة مدرسة عام ١٩٨٠، وتضاعفت إلى ثلاثين مدرسة عام ١٩٩٨، جاءت المدارس الدينية العسكرية والتمهيدية تحديداً كحلقة وصل بين الشبان المتدينين الذين يرون، بناءً على اليهودية، بأن تعليم التوراة هي قيمة عليا في حياتهم، وبين الجيش، كقيمة قومية-دينية. شكلت هذه المدارس وكيلاً غير رسمي للصلة بين اليهودية والجيش، كما فعل وكلاء رسميون آخرون مثل المؤسسة الدينية العسكرية داخل الجيش.

أشار أحد الجنود الذين درسوا في المدارس الدينية العسكرية التابعة للصهيونية الدينية، في لقاء معه مع صحيفة "هآرتس"، أنه "في كل كنيس للصهيونية الدينية يتم سماع الجملة: دولة إسرائيل، بداية خلاصنا"،<sup>١٠</sup> الخلاص بمفهومه الديني المسياني. ويضيف هذا الجندي: "الجمهور الديني، حتى لو أنه لا يؤمن بأرض إسرائيل الكاملة، فإنه يؤمن بمشروع المستوطنات، وإذا ربطنا كل الخيوط سوف نفهم الوضع الحالي. الصراع على الأرض يُفسر لدى جزء كبير من أبناء الصهيونية الدينية، بمن فيهم الجنود المتدينون، كصراع مسياني-خلاص".<sup>١١</sup>

استبدل النقاش الديني العلماني، النقاش الإثني (شرقيون غربيون) في نخب الجيش، وربما يعود ذلك لأسباب عدة، هيمنة التغيير الذي شهده الجيش مع دخول المتدينين إليه، على عكس التغيير الذي حصل مع دخول الشرقيين، مع التأكيد أنه في تاريخ الجيش كان هنالك ١٧ قائد هيئة أركان من الاشكناز، وخمسة من الشرقيين، آخرهم كان غادي ايزنكوت. وتجدر الإشارة إلى أن أربعة من بين آخر سبعة رؤساء هيئة أركان، كانوا شرقيين، مما يؤكد أن الشرقيين وصلوا لأعلى المراتب في الجيش، (كما في السياسة باستثناء رئاسة الحكومة)، ولكن هذا الدخول لم يحدث تغييراً كبيراً في الجيش، وكان الاهتمام بالشرقيين في الجيش في الجانب التمثيلي الإحصائي، بينما دخول المتدينين للجيش أدى إلى تغيير في بعض ممارسات الجيش الداخلية، ما أدى بالبحث إلى تجاوز الجانب التمثيلي إلى الجانب القيمي، وخاصة مكانة النساء في الجيش.

يرى التوجه الواسع - ينتمي إليه كاتب هذا المقال - في تدين الجيش سيرورة بدأت بعد عام ١٩٦٧، وجزءاً من عملية أوسع تم فيها تدين الصهيونية والدولة، ومحاولة إعادة امتلاكهما واحتكارهما، بالإضافة إلى تحولات في المشروع الاستيطاني الاستعماري الصهيوني. لا يرى المجتمع الإسرائيلي في تدين الصهيونية - بما في ذلك تدين المؤسسة العسكرية - ظاهرة سلبية.

يرى التوجه الواسع - ينتمي إليه كاتب هذا المقال - في تدين الجيش سيرورة بدأت بعد عام ١٩٦٧، وجزءاً من عملية أوسع تم فيها تدين الصهيونية والدولة، ومحاولة إعادة امتلاكهما واحتكارهما،<sup>١٢</sup> بالإضافة إلى تحولات في المشروع الاستيطاني الاستعماري الصهيوني. لا يرى المجتمع الإسرائيلي في تدين الصهيونية - بما في ذلك تدين المؤسسة العسكرية - ظاهرة سلبية، أو انحرافاً عن المعيار القومي، بل يرى أنها تعبر في جوهرها عن مكنون الهوية والتراث اليهوديين.

نتج انخراط المتدينين في الجيش، عن التقاطع الذي حدث بين الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية عام ١٩٦٧ وبين مكانة الجيش الإسرائيلي في الحفاظ على الأرض والاستيطان فيها. اعتبر الاحتلال عام ١٩٦٧ في نظر الصهيونية الدينية معجزة، وجزءاً من عملية الخلاص والعودة إلى أرض إسرائيل الحقيقية،<sup>١٣</sup> فالضفة الغربية (القدس، الخليل، نابلس) هي المناطق الدينية المركزية للديانة اليهودية، وتم تفسير الاحتلال والاستيطان من خلال خطاب ديني طغى عليه الطابع المسياني. بعد الحرب، وجه حاخام الصهيونية الدينية تسفي

الصهيونية الدينية للخدمة العسكرية.

يعتبر التوجه الأوسط أن تدين المؤسسة العسكرية نابع من تحولات حدثت داخل التيار الديني القومي نفسه أيديولوجياً وثيولوجياً.<sup>١٤</sup> وإلى بداية تحول داخل التيار الأرثوذكسي حديثاً. فقد تم في كانون الثاني ١٩٩٩ تشكيل أول فرقة عسكرية من أبناء الأرثوذكسية - "ناحل". ومع ذلك فإن تأويلات دينية أرثوذكسية لا تزال تلعب دوراً في إعاقه اندماج أبناء الأرثوذكسية الدينية بشكل كبير في الجيش،<sup>١٥</sup> وذلك على عكس أبناء الصهيونية الدينية التي تشكل العسكرية قيمة دينية لديهم وليست قومية فقط. جاءت المدارس الدينية العسكرية كتسوية بين الدولة التي أرادت بناء جيش يخلو من التوجهات الدينية المنفصلة، بل أرادت بناء جيش وطني موحد، وبين التيار الديني القومي الذي أراد الحفاظ على خصوصيته الدينية في المؤسسة العسكرية ذات الهيمنة العلمانية. تقدم المدارس الدينية لروادها ٥٨ شهراً من التعليم الديني الذي ترافقه الخدمة العسكرية، تعمل على تكامل التعليم الديني والقيم/الخدمة العسكرية.



النخب الاشكنازية تركت الوحدات المقاتلة إلى "الساير".



إلى جانب التحولات السياسية والاجتماعية في المجتمع الإسرائيلي التي أثرت  
على التدين في الجيش. يعتقد أودي ليبل ولوبيش عومر، أن وجود الصهيونية  
الدينية في الجيش يمثل توجهاً فكرياً عسكرياً محافظاً مضاداً يحاول إعادة  
الجيش كحالة نوسطالجيا للجيش الكلاسيكي بعد أن مرّ بتحولات أوصلته إلى  
مواقع العسكرية ما بعد الحداثة.

على أراضي ١٩٦٧. وهذا ما حصل فعلاً، فبذور الشرعية التي زرعها في عام ١٩٦٧، آتت أكلها على مستوى الشرعية السياسية لمشروع ١٩٤٨، إلا أنها غيرت جوهره أيضاً. دخل أبناء الصهيونية الدينية إلى الضفة الغربية كرواد المشروع الاستيطاني الجديد، فأصبغوه بالصبغة الدينية ذات المسحات المسيانية ولكن في إطار قومي، وكان نقيضها الذي زرعه نخبة الأحوساليم بعد احتلالها عام ١٩٦٧ في المشروع الاستعماري، هو ما أدى إلى انتهاء هيمنتها بعد ذلك.

ظهرت في السنوات الأخيرة محاولات حثيثة لتدين المؤسسة العسكرية، ليس فقط من خلال صيرورة ديمغرافية في قواعد الجيش العسكرية، قد تكون محل نقاش؛ هل هي منظمة أم طبيعية. رافق هذه الصيرورة محاولات لتدين رموز وطقوس عسكرية، فقد كانت هناك محاولة لتغيير افتتاحية نص "يزكور"، وهو النص الذي يتلى في إحياء ذكرى جنود إسرائيل، وكان يبدأ النص بكلمة "يتذكر شعب إسرائيل"، وقد قام قائد الأركان بيني غانتس بتغيير النص بناء على طلب المتدينين إلى "يتذكر الله أبناءه". فالأول هو نص قومي غير ديني بينما الثاني هو نص ديني. وبعد ضغط جماهيري شكل غانتس لجنة لفحص المسألة، أوصت بغالبية أعضائها عدا الحاخام العسكري للجيش، بشطب كلمة "الله" من النص والعودة إلى النص القديم. إضافة إلى الصراع على رمزية التذكر في الجيش، ظهرت في السنوات الأخيرة مسألة إقصاء النساء داخل الجيش بسبب حضور الخطاب الديني والمتدينين في الكثير من وحداته. يشير زئيف دروري إلى أن التدين داخل الجيش نابع من حرص الجيش على الحفاظ على شرعيته، ومكانته. فالجيش مفتوح لكل القطاعات الاجتماعية والثقافية في المجتمع اليهودي، وهو يحاول إدارة هذا الاختلاف الثقافي من خلال تلبية الاحتياجات الثقافية لكل مجموعة ثقافية، عبر بناء هيكليات تنظيمية واضحة تلي هذه الحاجات، ما أدى إلى حضور الدين وموضعته كجزء من الثقافة التنظيمية للجيش. وبحسب دروري، أصبحت الاعتبارات الدينية مؤثرة أو متساوية التأثير مع الاعتبارات المهنية العسكرية.<sup>١٦</sup>

يهودا كوك (الأبن) نداء إلى طلاب المدارس الدينية يطالبهم بالعمل على تحقيق الأهداف اليهودية - القومية، الاستيطان والتجند للجيش، فالأخير هو أحد أدوات الاستيطان، وتكريس السيطرة اليهودية على "أرض إسرائيل".<sup>١٤</sup>

يمكن الربط بين صعود القواعد الاجتماعية الجديدة في الجيش الإسرائيلي وخصوصاً المتدينين القوميين، بتراجع دور النخب اليهودية القديمة، التي أسماها باروخ كيمرلينغ "أحوساليم"، في كتابه "نهاية حكم الأحوساليم"، (أو نهاية الهيمنة الأشكنازية حسب الترجمة عن الإنكليزية)، وهو اختصار ابتدعه كيمرلينغ للتدليل على النخبة الاشكنازية - العلمانية - القديمة - الاشتراكية - القومية - الصهيونية. انتصرت نخبة الأحوساليم في عام ١٩٤٨، وأقامت دولة إسرائيل، إلا أن دورها انتهى ليس كطبقة اجتماعية فحسب، بل كنخبة سياسية مهيمنة.<sup>١٥</sup>

يشير كيمرلينغ في كتابه إلى صيرورة وتعبيرات نهاية هيمنة الأحوساليم سياسياً، ويمكن الإضافة إلى ما قاله كيمرلينغ، حضور المفارقة التي أدت إلى انتهاء هيمنة هذه النخبة، فقد زرعت هذه النخبة بذور نقيضها مع انتصارها في عام ١٩٦٧. استمرت هذه النخبة في تحقيق الانتصارات التاريخية، وكان أهمها انتصارها عام ١٩٦٧، ولكن بخلاف انتصارها عام ١٩٤٨ فإنها لم تر نفسها قادرة على إعادة التجربة الاستيطانية في الضفة الغربية كما فعلت داخل الخط الأخضر بعد عام ١٩٤٨، هي اعتبرت أنها أدت دورها التاريخي في المشروع الصهيوني بإقامة دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، لذلك لم تبد معارضة لسيطرة المتدينين القوميين على النخب العسكرية في الجيش، وهو أداة مشروع الاستيطان المركزية التي تقوم بحماية المستوطنين والحفاظ على الاحتلال في الضفة الغربية - جوهر مفهوم "أرض إسرائيل الحقيقي". أرادت نخب مشروع ٤٨ تكريس مشروعها من خلال شرعنته إقليمياً، واعتبرت الاحتلال عام ١٩٦٧ جزء من خدمة مشروع ١٩٤٨ وليس بداية مشروع جديد، لأنه سيكرس مشروع ١٩٤٨، ويعطيها مساحة لشرعنته في المجال العربي المحيط بواسطة التفاوض

إن الديناميكيات الاجتماعية التي حدثت للجيش الإسرائيلي في السنوات الأخيرة، جعلته أكثر حساسية للمواقف الشعبوية في المجتمع، ولا يعني ذلك أن الجيش يتبنى هذه المواقف بالضرورة وفي كل الأوقات، ولكن حساسيته لها أصبحت أكبر. وسنورد هنا مثال قضية اليؤور ازاريا.

وظائفه كحاحام عسكري للجيش.<sup>١٩</sup> ولاحقاً أدخل الجيش قسماً تربوياً وتعليمياً، يقوم خصوصاً على تعزيز الهوية اليهودية في صفوف الجنود، حيث يتم التعامل مع الجيش "كجيش يهودي" بالمفهوم الديني.<sup>٢٠</sup>

### من جيش الشعب إلى الجيش «الشعبي»

إن الديناميكيات الاجتماعية التي حدثت للجيش الإسرائيلي في السنوات الأخيرة، جعلته أكثر حساسية للمواقف الشعبوية في المجتمع، ولا يعني ذلك أن الجيش يتبنى هذه المواقف بالضرورة وفي كل الأوقات، ولكن حساسيته لها أصبحت أكبر. وسنورد هنا مثال قضية اليؤور ازاريا.

تعتبر محكمة الجندي اليؤور ازاريا من المحاكمات المهمة التي انعكست على مكانة الجيش في المجتمع الإسرائيلي، ويمكن لها أن تشكل نقطة تحول في تقاطعات الجيش المختلفة مع هذا المجتمع، ويبدو أن محكمة ازاريا قد كشفت عن أهم سؤال: هل الجيش الإسرائيلي هو جيش عصري أم ميليشيا عسكرية؟ وهذا النقاش لا يتعلق ببنية الجيش، وطريقة انتخاب ضباطه وخطته الحربية وأنماط تدريباته، فهي كلها تدل على أن الجيش الإسرائيلي هو جيش عصري، وإنما يتعلق بمركب مهم وهو مصدر شرعية الجيش الإسرائيلي ومصدر إلهام أفرادها، وقد كشفت محاكمة أزاريا الكثير من الصدوع في هذا المركب.

يختلف الجيش العصري عن الميليشيا العسكرية في مركب الشرعية ومصدر الإلهام في عدة مناح، ففي الجيش، يكون الفرد منصاعاً للأوامر العسكرية التي تحدد استعمال العنف، وهي لوائح تتعلق في الغالب بالخطر الذي يهدد الفرد العسكري، أو خلال إجراء مهمة عسكرية، أما في الميليشيا، فيكون الفرد خاضعاً لأيدولوجيا هي التي تحكم استعمال العنف في الميدان. في الجيش العصري يكون مصدر إلهام الفرد هو المهمة المتعلقة بالمنظومة السياسية المنتخبة، والتي توجه أهداف المؤسسة العسكرية بناء على تدارس الأخطار والتهديدات العامة، ويكون مصدر الأوامر هو القائد الذي يتواجد فوقه ضمن تراتبية عسكرية هرمية واضحة، أما في الميليشيا، فيكون الفرد خاضعاً لمنظومة قيادية

إلى جانب التحولات السياسية والاجتماعية في المجتمع الإسرائيلي التي أثرت على التدين في الجيش، يعتقد أودي ليبل ولوبيش عومر، أن وجود الصهيونية الدينية في الجيش يمثل توجهاً فكرياً عسكرياً محافظاً مضاداً يحاول إعادة الجيش كحالة نوسطالجيا للجيش الكلاسيكي بعد أن مرّ بتحويلات أوصلته إلى مواقع العسكرية ما بعد الحداثية. لا ينحصر هذا التضاد في الجيش ضد المابعد حداثية العسكرية فحسب، وإنما في المجتمع الإسرائيلي عموماً، فالصهيونية الدينية تمثل التوجه الفكري المضاد للمابعد حداثية في المجتمع اليهودي.<sup>٢١</sup> تتجلى العسكرية ما بعد الحداثية في تحول الجيش إلى مؤسسة تقوم بنشاطات عسكرية غير حربية، ازدياد تأثير منظمات المجتمع المدني على قادة الجيش، قيام الجيش بالعمل حسب موثاق الحرب الدولية، الاهتمام بالانتصار الاعلامي أو الافتراضي على الانتصار الفعلي في أرض المعركة، محاولة إبعاد الجنود عن أرض المعركة والاعتماد على وسائل تكنولوجية من بعيد، تفضيله للحرب الجوية على المعركة البرية الكلاسيكية، ويمكّن حساسية اجتماعية لقواعده الاجتماعية وقتلاه.

دفعت حالة التدين في المؤسسة العسكرية، قيادات من داخل المؤسسة للتحذير من التطرف الديني في الجيش، مثلاً، أرسل رئيس قسم القوى البشرية، افي زامير، في العام ٢٠١١، رسالة إلى قائد الجيش يطالبه فيها بوقف التطرف الديني في المؤسسة العسكرية والجيش.<sup>٢٢</sup> اعتمد زامير في رسالته على تقرير أعدته مستشارة قائد الجيش غيلا خليف-امير، التي ادعت في تقريرها أن القواعد الاجتماعية الجديدة في الجيش تفرض تصورات دينية متطرفة عليه. وظهر في تقارير أخرى أن المؤسسة الدينية العسكرية اجتاحت شعبة التربية في الجيش، وسيطرت عليها، وتزود الجنود مواد تعليمية وتنظم لقاءات تربوية تؤكد على المفاهيم الدينية، لدرجة أن مراقب الدولة أشار إلى هذه الظاهرة في صفوف شعبة التربية في الجيش، وخصوصاً بعد مشهد قيام حاحام الجيش، حايم رونتسكي، بالتنقل بين الجنود وتشجيعهم قبل الذهاب للمعركة في حرب غزة ٢٠٠٨/٢٠٠٩ مستعملاً خطاباً دينياً، وهذه ليست من

غير منتخبة، بل لقيادة أيديولوجية تضع أهداف المليشيا بناء على أيديولوجية المليشيا، ويكون قائد المليشيا مصدر الأوامر، الذي يتمتع عادة بالكاريزما، ومصدر إلهامه هو قوته الأيديولوجية وجاذبيته الفكرية والشخصية. علاوة على ذلك، يكون للعلاقات الشخصية في المليشيا دور كبير في تحديد الإيقاع العام داخل الحركة الميليشيوية، بينما يكون العقد السياسي هو الذي يحدد توجهات وإيقاع العمل داخل الجيش العصري.

كشفت قضية اليؤور ازاريا وجود بعد ميلشيو في الجيش الإسرائيلي، وربما أن محاكمة ازاريا هي مؤشر على هذا البعد وليست إنتاجاً له. في البداية، يجب أن نسرد الأحداث التي أدت إلى اندلاع النقاش حول موضوع ازاريا، ففي آذار ٢٠١٦، عندما حاول شابان فلسطينيان من الخليل القيام بعملية ضد جنود الاحتلال الإسرائيلي في تل الرميذة، وتم خلال العملية طعن أحد الجنود، أطلق الجنود النار على الشابين الفلسطينيين، فاستشهد أحدهما، أما الشاب الثاني، عبد الفتاح الشريف، فقد أصيب بالعيارات النارية التي أطلقها الجنود، إلا أنه لم يمت، بل أصيب إصابات حرجة أدت إلى شل حركته دون أن تقتله، وبعد مرور الوقت، وبعد أن تم الإعلان أن الحدث قد انتهى من حيث العملية العسكرية، جاء جندي من وحدة «كفير»، لم يكن شريكا في الحدث منذ بدايته، وأطلق النار على رأس الشاب عبد الفتاح الشريف ما أدى إلى قتله. خلال هذه الأحداث كانت كاميرا عماد أبو شمسية من منظمة «بتسليم» تصور هذه الأحداث، وقد أدى نشر الفيديو إلى اندلاع سجال ونقاش وصراع داخل إسرائيل لم يشهد له الجيش مثيلاً من قبل.

أظهرت قضية ازاريا الكثير من مميزات الجيش الإسرائيلي والتحولات التي حدثت على علاقة الجيش مع المجتمع اليهودي، وكشفت البعد المليشياوي فيه، يمكن القول إن البعد المليشياوي في الجيش الإسرائيلي تطور مع كونه جيش الشعب، ففكرة جيش الشعب، تحمل في داخلها تداخلاً كبيراً بين الجيش والمزاج السياسي والفكري في المجتمع، وقد تحولت الفكرة من حاملة للجيش الإسرائيلي إلى عبء عليه كجيش عصري، في دولة يجب أن يرتبط الجيش فيها بالمستوى السياسي الذي فوقه، وبالمنظومة القانونية التي تحكمه.

تحول المزاج الشعبي إلى عامل مؤثر على الجيش وعلى توجهاته وطريقة تعاطيه مع الأمور، وأصبح التهديد بعدم إرسال الأبناء إلى الجيش عاملاً في الضغط على الجيش لاتخاذ مواقف تتسجم من توجهات الشعب، وهو ما يسمى الطابع الشعبي للخطاب الشعبي، وهو ما يميز أيضاً المستوى السياسي في إسرائيل، فإذا كانت القيادة قد أصبحت شعبية انسجاماً مع الشعب، فلماذا لا يكون الجيش مثلها.<sup>٢١</sup> وقد كتبت تسيغي ليفني في سياق

محاكمة ازاريا أن هذه الأيام تشهد صراعاً بين الحقيقة والكذب، بين القيم والفوضى، بين جيش أخلاقي وبين جيش يتصرف حسب مزاج العامة.<sup>٢٢</sup>

فوراً بعد نشر الفيديو في العالم، خرج وزير الدفاع في حينه بوغي يعلون، وقائد هيئة الأركان، ببيان أولي يشجبان فيه إطلاق النار، مؤكدين أن ما قام الجندي لا ينسجم مع أخلاقيات الجيش الإسرائيلي، ووصف يعلون الحدث بالبهيمية. وقد أشار المحلل العسكري عاموس هرئيل أن ما دفع وزير الدفاع هو خوفه من تأثير هذه القضية على سلوكيات الجنود الإسرائيليين، والخوف من التصعيد الذي قد يلحق نشر هذا الفيديو في المجتمع الفلسطيني.<sup>٢٣</sup> بعد إعلان موقف وزير الدفاع تحديداً (حيث تراجع ايزنكوت عن حدة موقفه بسبب الضغط وأعلن في بداية نيسان) أن جندي بريء حتى تثبت إدانته، بدأ حراك شعبي وسياسي داعم للجندي، فقد اتصل نتنياهو بعائلة الجندي وشدّ على أيديها، وقد تجند سياسيون من المعارضة (ليبرمان في حينه) والائتلاف (غالبية الوزراء وأعضاء الائتلاف) لدعم الجندي ومهاجمة يعلون على موقفه الذي اعتبروه تضحية بالجندي وتركه لوحده في المعركة. أدت قضية ازاريا (بشكل مباشر وغير مباشر) إلى الإطاحة بوزير الدفاع السابق يعلون وتعيين ليبرمان مكانه، حيث دعم أعضاء من الليكود والبيت اليهودي تعيين ليبرمان وزيراً للدفاع لأسباب كثير من بينهما موقف يعلون من قضية ازاريا.

على كل حال، كشفت قضية ازاريا مجموعة من الصراعات داخل الجيش الإسرائيلي وعلاقته مع القيادة السياسية والشعب، وتعتبر القضية فقط تعبيراً عنها وليس إنتاجاً لها، ففي الماضي تعرض جنود إسرائيليون للمحاكمة في قضايا شبيهة بقضية ازاريا، إضافة إلى جنود لم تتم محاكمتهم، ولكن محاكمة أولئك الجنود بسبب قتل فلسطينيين بدون مبرر، لم تثر هذه الاحتجاجات التي كانت في قضية ازاريا، وهذا يعني أن العامة بخطابهم الشعبي لم يعودوا مستعدين لإعطاء الجيش ونخبه أن يقودوا هذه المسائل بشكل منفرد ومستقل، ولم يعد الجمهور الشعبي يقبل تبريرات القيادة العسكرية أو السياسية حول أهمية هذه الإجراءات للحفاظ على صورة الجيش الإسرائيلي، لذلك فإن محاكمة ازاريا كانت نقطة مفصلية في هذه المسألة، وتتمثل في أن الشعب يريد من الجيش أن يتصرف ويفكر بشكل شعبي مثل، خصوصاً وأن قيادات في الجيش الإسرائيلي خرجت في السنوات الأخيرة وحذرت من خطورة التدهور الأخلاقي في المجتمع الإسرائيلي، مثل نائب رئيس هيئة الأركان الذي حذر خلال كلمة له في «ذكرى الكارثة» أن المؤشرات العنصرية في المجتمع الإسرائيلي تشبه تلك الموجودة في المجتمع الألماني عشيّة



**علاوة على ذلك، كشفت قضية ازاريا هيمنة قطاعات جديدة على الجيش الإسرائيلي أحدثت قطيعة عن النخب القديمة والتقليدية التي قادت المؤسسة العسكرية في إسرائيل، حيث انكشفت رغبة اليمين الجديد في إسرائيل في إحكام السيطرة على الجيش، وبالذات على قيمه، وإدخال مصادر شرعية وإلهام جديدة إليه، مثل الدين والأيديولوجيا الشعبوية.**

الجيش وبينه وبين قطاعات في المجتمع عن البعد المليشيوي فيه. فقد كشفت القضية أن اليهود الأشكنازيين العلمانيين اليساريين قد تخلوا عن الخدمة في الجيش في الوحدات التي فيها احتكاك مع الفلسطينيين، أو فيها أعمال شاقة مثل الحراسة، وإنما يفضلون الخدمة في الوحدات الاعتبارية مثل السابير، والوحدات الاستخباراتية النخبوية، وغيرها، وتبقى العمليات الشرطية والحدودية على أرض الواقع من نصيب الشرقيين وأبناء الطبقات الضعيفة.

وقد أشار الخبير الإسرائيلي في علاقة الجيش بالمجتمع، يغيل ليفي، أن الجيش تحول إلى جيش طبقي-طائفي.<sup>٣١</sup> وبغض النظر عن صحة أو عدم صحة هذه الادعاءات إحصائياً وواقعياً، فإن الصورة التي رُسمت أو تم رسمها هي هذه الصورة التي تساهم في تجنيد الداعمين للجندي ازاريا على أساس طائفي، وتوجيه الغضب على النخبة القيادية العسكرية، لدرجة أن العامة التي دعمت ازاريا رفعت شعار رفض التجنيد للجيش بعد إدانة ازاريا في المحكمة العسكرية في تل أبيب.

علاوة على ذلك، كشفت قضية ازاريا هيمنة قطاعات جديدة على الجيش الإسرائيلي أحدثت قطيعة عن النخب القديمة والتقليدية التي قادت المؤسسة العسكرية في إسرائيل، حيث انكشفت رغبة اليمين الجديد في إسرائيل في إحكام السيطرة على الجيش، وبالذات على قيمه، وإدخال مصادر شرعية وإلهام جديدة إليه، مثل الدين والأيديولوجيا الشعبوية. وقد كان وقوف غالبية أعضاء الائتلاف الحكومي إلى جانب الجندي والمطالبة بمنحه عفواً بعد ادانته بعام ونصف العام، وإظهار الجيش - أو تحديداً نخبه - بأنها تنكل بالعائلة «المسكنة» دليلاً على الرغبة في جعل الجيش يتصرف كما يريد العامة، وتلبية رغبات اليمين الجديد. وقد شكّل تهديد البعض بعدم التجنيد للجيش إذا لم يحدث الأخير تغييراً في توجهاته دليلاً على النظرة التي يريدها العامة من الجيش: مليشيا عسكرية تفعل ما تشاء.

وقد كشفت تقارير صحافية إحدى أوجه الميلشوية في قضية ازاريا، فخلال الأحداث في الخليل ظهر التأثير الذي يلعبه المستوطنون على الجنود وضباط الجيش، حيث يخضع

صعود النازية.<sup>٣٢</sup> والتي هاجمتها قيادات سياسية يمينية، بما في ذلك رئيس الحكومة نتنياهو الذي اعتبرها تسفيهاً للكارثة.<sup>٣٣</sup> وتصريحات رئيس هيئة الأركان السابق ايزنكوت الذي قال قبل قضية ازاريا بوقت طويل إنه لا يريد من الجندي الإسرائيلي أن يفرغ بندقيته على فلسطينية تحمل مقصاً.<sup>٣٤</sup> واعتبرت نائبة وزيرة الخارجية الإسرائيلية من الليكود تسيفي حوطوبيلي أن أقوال قائد هيئة الأركان هذه، هجوم عدائي سياسي على إسرائيل على المستوى الدولي، حيث أنه يتم اتهام إسرائيل بالضبط بهذه بارتكاب هذه الأفعال، وإلى جانب هذه الإدانات من اليمين، خرج مرة أخرى وزير الدفاع يعلون ودعم أقوال ايزنكوت كما فعل في السابق ودعم أقوال غولان.<sup>٣٥</sup>

أما الصراع الثاني، فهو الصراع الطبقي والطائفي بين الشرقيين والأشكناز، وهو أيضاً يدل على تحولات يمر بها الجيش الإسرائيلي داخلياً، وفي علاقته مع الشعب أو الجمهور. ففي خضم النقاش حول قضية ازاريا، كان هناك نقاش أكثر شراسة لم يظهر بحدّة في وسائل الإعلام الإسرائيلية (في اعتقادنا عمداً وليس جهلاً) وإنما بقي على صفحات التواصل الاجتماعي، وهو أن ازاريا، يهودي من أصول شرقية ويسكن في مدينة فقيرة وهي الرملة، وأن النخب الإشكنازية في الجيش اتخذته ككبش فداء لتحسين صورتها في العالم. وقد صرح ناشطون شرقيون، حتى الذين لا يدعمون ما قام به الجندي، بأن ما حدث هو تمييز في تطبيق القانون بسبب الأصل الشرقي للجندي، وأن هناك الكثير من الأحداث الشبيهة لم يتعرض فيها الجنود لمثل هذا التعامل.<sup>٣٦</sup> واعتبرت بورشطاين أن قضية ازاريا كشفت عن التراتبية في الجيش والصراع الطبقي فيه، فالذين وقفوا ضد ازاريا ومع محاكمته هم النخب الأشكنازية القديمة التي انضم لها يعلون، بينما وقف الشرقيون إلى جانب ازاريا لأنهم اعتقدوا أن محاكمة ازاريا بهذه الطريقة كانت بسبب كونه شرقياً.<sup>٣٧</sup> ويشير رامي كمحي أن المظاهرات التي خرجت لدعم ازاريا ضد الجهاز القضائي وقيادة الجيش تكونت من الشرقيين أبناء الطبقات الدنيا في مدن التطوير والمدن الفقيرة مثل الرملة.<sup>٣٨</sup> يكشف الصراع الطبقي الحقيقي أو المتخيل في

## خاتمة

ناقش هذا المقال سؤال النخب في الجيش الإسرائيلي، وفي هذا الصدد، لا بد من تسجيل ملاحظات ختامية:

أولاً: هنالك صعود واضح في نسبة الضباط المتدينين في صفوف الجيش، لا سيما في الوحدات القتالية المباشرة، ولكن لا يعني ذلك أن هنالك تغيراً دراماتيكياً في النخب العسكرية، فأغلب رؤساء الأركان هم من غير المتدينين، ولم يصل بعد أي متدين لمنصب رئيس هيئة الأركان.

ثانياً: هنالك تأثير لدخول المتدينين للجيش عبر المدارس الدينية التمهيدية على تعاطي الجيش مع سؤال الدين، بحيث يخضع الجيش في ممارساته الداخلية وفي بعض وحداته التي يتواجد فيها متدينون لممارسات وقواعد سلوكية تتماهى من قيم المتدينين، لكن لا يزال الجيش يتعامل مع هذا التغير في إطار تحقيقه لمفهوم جيش الشعب واحتياجه للمقاتلين وللضباط المتدينين الذي يشكلون رافعة في هذه الوحدات.

ثالثاً: ينسجم قانون التجنيد بمفارقة كبيرة مع فكرة تدين الجيش، قانون التجنيد الذي تسعى إلى إقراره أحزاب غير متدينة بالأساس، يصب في النهاية في إدخال المتدينين الأرثوذكس إلى الجيش، وهم قطاع أكثر تزمناً من الناحية الدينية من أبناء التيار الديني القومي، وهذا أدى إلى إنتاج ما يسمى التيار «الحردي» الحريدي القومي، وهو مزيج أكثر تطرفاً من المجموعتين السابقتين.

رابعاً: هنالك تغير لدى أبناء النخب القديمة حول أهمية الخدمة العسكرية من مسألة حراك سياسي إلى مسألة حراك اجتماعي اقتصادي، انعكست على تغير مفهوم الوحدات النخبوية في الجيش، من الوحدات القتالية المباشرة التقليدية إلى الوحدات التكنولوجية، حيث ينخرط أبناء النخب القديمة في هذه الوحدات بحثاً عن الحراك الاقتصادي الفردي بعد الخدمة العسكرية، بينما ينخرط أبناء الصهيونية الدينية في الجيش خدمة لمشروع استيطاني استعماري في الضفة الغربية. عندما انخرط أبناء النخب القديمة في هذه الوحدات كان مهمهم الحفاظ على مشروع ٤٨، وعندما استتب هذا المشروع بعد عام ١٩٦٧، نتج مشروع استعماري جديد في الضفة الغربية وقطاع غزة، اعتمد على الخطاب الديني الخلاصي، وقد رأى أبناء الصهيونية الدينية أن هذا المشروع هو مشروعهم، وأن الجيش الإسرائيلي هدفه بالأساس، لا بل شرعيته نابعة من الحفاظ على هذا المشروع.

الجنود في بعض الأحيان لأوامر المستوطنين، وعلى الرغم من أن هذه الحقيقة ليست جديدة، إلا أن قضية ازاريا بينت بشكل واضح هذا الواقع، والذي يكشف عن البعد الميلشيوبي في الجيش الإسرائيلي المتمثل في الخضوع لأوامر من قيادات أيديولوجية مثل المستوطنين ومساعدتهم على التنكيل بالفلسطينيين.<sup>٣٢</sup>

شارك الكثير من الضباط والجنرالات في الاحتياط بنقد سلوك الجيش خلال قضية ازاريا، وتجند قسم منه للشهادة لصالح ازاريا في المحكمة، مثل الجنرال عوزي ديان، والذين ركزوا نقدهم للجيش بادعاء أن الأخير لا يقدم الحماية للجنود إذا ارتكبوا مخالفات سموها مخالفات تنفيذية لا قيمية، أو أخلاقية، وثانياً ادعوا أن محاكمة ازاريا سوف تمنع الجنود من القيام بإطلاق النار وقت الخطر خوفاً من محاكمتهم من جهة، وبسبب تخلي الجيش عنهم من جهة أخرى، وقد فند الجيش ذلك بأسلوب ميلشيوبي عبر نشر إحصائيات عن عدد الفلسطينيين الذين قتلهم الجيش بعد محاكمة ازاريا، ليثبت أن القضية لم تؤثر على دافعية الجنود في استعمال السلاح ضد فلسطينيين. إن إحصاء الجثث الفلسطينية لإثبات غياب تأثير محاكمة ازاريا على الجيش هو تفكير وسلوك ميلشيوبي واضح.<sup>٣٣</sup>

ساهمت قضية ازاريا ومحاكمته في إحداث تصدعات في قدسية الجيش الإسرائيلي أكثر من أي حدث آخر، وتنضم قضية ازاريا لقضايا أخرى تواجه الجيش الإسرائيلي تدفع به أكثر وأكثر نحو الإطار الميلشيوبي، فإلى جانب قضية ازاريا، والتي أخرجت الناس للتظاهر ضد الجيش ومصادر شرعيته والعقيدة العسكرية التي يحملها والكود الأخلاقي الذي يرفعه، وخلال المظاهرات التي كانت خارج المحكمة العسكرية في تل أبيب، هتف المتظاهرون عبارات تحريضية ضد رئيس هيئة الأركان، وهي المرة الأولى في تاريخ الجيش التي يتم فيها التحريض الدموي على رئيس هيئة أركان خلال إشغاله المنصب، هتف المشاركون في تلك المظاهرة «غادي احذر رابين يبحث عن صديق»، واعتبرت تقارير أن ما حدث في محاكمة ازاريا شرح في المجتمع حول مكانة الجيش ودوره.

قلنا، إلى جانب قضية ازاريا، ظهرت قضايا أخرى عبرت عن التوجه الميلشيوبي الذي يتجه نحوه الجيش الإسرائيلي، ويحاول الأخير مقاومته، ليس دائماً بنجاح كبير كما حدث من قضية ازاريا، فمثلاً يحاول حاخامات الصهيونية الدينية منع دمج النساء في الوحدات القتالية، وفي التجربة الأولى لدمجهن في سلاح الدبابات، وفي نزاع الشرعية عن منظمات حقوقية إسرائيلية تنتقد الجيش وممارسته في الضفة الغربية وقطاع غزة مثل منظمة «يكسرون الصمت»، كلها تدل على تعزيز الأبعاد الميلشيوبي في الجيش الإسرائيلي، والتي تنمو على أرضية أن الجيش هو «جيش الشعب»، إذن، فليكن كذلك كما يطالبه العامة.

## هوامش

٢٠. كوبي بن-سمحون، الله يحفظ ...، ص: ٢٦.
٢١. عاموس هرتيل، «محاكمو ازاريا: جيش الشعب مقابل ممثلي الشعب»، هآرتس، ٢٠١٧/١/٦، أنظر الرابط: <https://www.haaretz.co.il/news/politics/.premium-1.3220799>
٢٢. اقوال ليفني مقتبسة من مقال: نوعا بورشطاين، «قضية ازاريا-السردية الشرقية»، هآرتس، ٢٠١٧/١/٥، انظر الرابط: <https://www.haaretz.co.il/opinions/.premium-1.3220131>
٢٣. عاموس هرتيل، «لم يكن هناك حاجة لخبر متفجرات لفحص المخرب»، هآرتس، ٢٠١٦/٣/٣١.
٢٤. رعنان بن تسور، «رئيس هيئة الأركان: مخيف أن تكون بيننا صيغرات حدثت في ألمانيا قبل ٧٠-٨٠ عاما»، موقع Ynet، ٥٢٠١٦/٥، أنظر الرابط: <http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4799480,00.html>
٢٥. شلومو زسنا، «نتنياهو: أقوال غولان تسفيهه للكارثة»، إسرائيل هيوم، ٢٠١٦/٥/٨، أنظر الرابط: <http://www.israelhayom.co.il/article/379607>
- (آخر مشاهدة ٢٠١٧/٣/١٥).
٢٦. يواف زيتون، «ايزنكوت لطلاب ثانويين، لا أيد جنديا يفرغ خزان رصاصه على صبية مع مقص»، موقع ynet، ٢٠١٦/٢/١٧، أنظر الرابط: <https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4767370,00.html>
٢٧. ليلخ شوفال وآخرون، «عاصفة رئيس هيئة الأركان: الدعم والتنديد»، إسرائيل هيوم، ٢٠١٦/٢/١٩، انظر الرابط: <http://www.israelhayom.co.il/article/358083>
٢٨. أنظر تقريراً حول النقاش الطائفي-الاثني وراء محاكمة ازاريا عند: اينس الياس، «ملعوننا»، في ملحق غليزيا-هآرتس، ٢٠١٦/٧/٢٢، ص: ٩.
٢٩. نوعا بورشطاين، قضية ازاريا-السردية الشرقية، هآرتس، ٢٠١٧/١/٥، انظر الرابط: <https://www.haaretz.co.il/opinions/.premium-1.3220131>
٣٠. رامى كمحي، «الفيل الشرقي لمحكمة ازاريا»، هآرتس، ٢٠١٧/١/١٧، أنظر الرابط: <https://www.haaretz.co.il/opinions/.premium-1.3258866>
- وكذلك أنظر: نوعا بورشطاين، قضية ازاريا... هآرتس
٣١. يغيل ليفي، «الجيش الإسرائيلي تحول الى جيش طبقي طائفي»، هآرتس، ٢٠١٧/١/١٦، أنظر الرابط: <https://www.haaretz.co.il/opinions/.premium-1.3239407>
٣٢. روغل الفير، «تقرير برنامج «عوفدا» حول الزور ازاريا يكشف عورة ايزنكوت»، هآرتس، ٢٠١٦/١٢/١، أنظر الرابط: <http://www.haaretz.co.il/gallery/television/tv-review/.premium-1.3139136>
٣٣. يغيل ليفي، «خطورة إحصاء الجثث»، هآرتس، ٢٠١٧/٢/٢٦، أنظر الرابط: <http://www.haaretz.co.il/opinions/.premium-1.3885276>
١. باروخ كيمرلينغ، نهاية حكم الاحوساليم، (القدس: منشورات كيتز، ٢٠٠١). (بالعبرية). ترجم الكتاب لاحقا للغة العربية من طرف المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية-مدار، وحمل عنوان «نهاية الهيمنة الاشكنازية».
٢. اساف مالحي، «نخب إسرائيلية تترك الجيش»، غلوبوس، ٢٠١٨/٧/٣٠، أنظر الرابط: <https://www.globes.co.il/news/article.aspx?did=1001247993>
٣. «ب»، «مكان معتمري القبة الدينية (كيبا) في القيادة التكتيكية في الجيش الإسرائيلي»، مجلة معرخوت، عدد ٤٣٢، (أب ٢٠١٠)، ص: ٥٠-٥٧. أنظر رابط المقال: <http://maarachot.idf.il/72049-he/Maarachot.aspx>
٤. «ب»، «مكان معتمري القبة ...، ص: ٥١.
٥. عاموس هرتيل، عدد الضباط المتدينين في سلاح البرية ارتفع ١٢ ضعفا في العقدين الماضيين، هآرتس، ٢٠١٠/٩/١٥، أنظر الرابط: <https://www.haaretz.co.il/news/education/1.1221220>
٦. زئيف دروري، "البعد بين القلنسوة والطاقيّة اليهودية: كيف يواجه الجيش الإسرائيلي صيرورة التدين؟"، في: رؤوبين غال (محرر). بين الطاقية الدينية والقلنسوة: الدين، السياسة والجيش في إسرائيل (بن شيمون: منشورات مودان، ٢٠١٢)، ص: ١٢٤.
٧. كوبي بن-سمحون، الله يحفظ، ملحق هآرتس، ٣١ تشرين الأول، ٢٠١٤، ص: ٢٦.
٨. المصدر السابق.
٩. تميز ليليل ورؤوبين غال، بين علاقات الجيش-المجتمع وعلاقات الدين-الجيش، في: رؤوبين غال (محرر). بين الطاقية الدينية والقلنسوة: الدين، السياسة والجيش في إسرائيل. (موشاف بن شيمون: منشورات لمودان، ٢٠١٢)، ص: ٨٣-١١٣.
١٠. بوغز كوهن، «فريضة بلباس عسكري: الخدمة العسكرية والجمهور الديني-القومي» في تصورات في نهضة اسرائيل، مجلد ٢٢، (٢٠١٣)، ص: ٣٢٥-٣٥٨.
11. Zev Drori, Between Faith and Military Service: The Haredi Nahal Battalion. (Jerusalem: The Floer-sheimer Institute for Policy Studies, 2005).
12. Ian Lustick, For the Land and Lord: Jewish Fundamentalism in Israel. (New York: Council on Foreign Relations, 2004).
١٣. يوئيل بن نون، معجزة جمع الشتات-قوة اليهودية الإسرائيلية. (تل أبيب: منشورات ידיעות أحرانوت، ٢٠١١). بالعبرية.
١٤. دروري، «كيف يواجه الجيش...، ص: ١٢٤.
١٥. كيمرلينغ، نهاية حكم الأحوساليم...، ٢٠٠١.
١٦. دروري، «كيف يواجه الجيش...، ص: ١٤١-١٤٢.
١٧. أودي ليليل وشوشانا ولوبيش-عومر، "العودة لما كنا عليه": معتمرو الطاقية الدينية الكحلية في الجيش الاسرائيلي كمعارضة محافظة للجيش لما بعد حداثي. في: رؤوبين غال (محرر). بين الطاقية الدينية والقلنسوة: الدين، السياسة والجيش في اسرائيل. (بن شيمون: منشورات مودان، ٢٠١٢)، ص: ١٥١-٢٠٣.
١٨. كوبي بن-سمحون، الله يحفظ ...، ص: ٢٤-٢٦.
١٩. كوبي بن-سمحون، الله يحفظ ...، ص: ٢٤.